

أنا وأنتِ على الطريق

وضع المرأة في السودان

صديقتي المستمعة ،

وصل تقرير من قبل أحد العاملين السودانيين في صفوف توزيع الطعام على الفقراء والجائعين في السودان يخبرنا فيه عن الحالة المعيشية المتردية يوماً بعد يوم هناك. وقد عبّر في تقريره عن المجاعة الحاصلة من جراء الحرب الأهلية المتفشية منذ أكثر من سبع عشرة سنة. ليس هذا فحسب، بل إن الحالة مزرية جداً بحيث أن مليوني سوداني قد ماتوا نتيجة الصراع القائم. وأربعة ملايين منهم قد هُجّروا من بيوتهم. ومليوناً ونصف سوداني أغلبهم من الأطفال والنساء هم في حالة من الفقر المدقع لا بل يعيشون جوعاً دائماً لعدم توفر الطعام، لذا فهم معرضون جميعاً للموت إن لم يكن عاجلاً فآجلاً.

يتابع المقرر تقريره عن الوضع هناك فيشارك بقصة حقيقية عن امرأة تدعى إليزابيتا. قال : انخرطت بين صفوف الناس التي بدت وكأن لا نهاية لها. جاءت وانضمت الى الجموع المزدحمة من النساء اللاتي لجأن إلى المركز للحصول على الطعام، وهي تحمل ولدها البالغ ثمانية أشهر فقط. قال عنها: قصة إليزابيتا لا تمثل حالة امرأة واحدة لأنها بنفسها قالت: الحالة في القرية سيئة للغاية. لا يوجد طعام ولا نستطيع أن نذهب لكي نصيد السمك أو نجتمع الحشائش البرية أو الثمار. الجنود هناك يعبثون بكل شيء. يحرقون ما يرونه أمام أعينهم. إنهم يقتلون كل شخص يرونه و النساء تتعرض للاعتداء ومن ثم القتل و حتى العجائز لم ينجوا من شرهم. أما الأطفال فيأخذونهم مع قطعان الماشية إلى شمال السودان.

قال المقرر الذي يقوم بحملات مساعدة في المركز ذلك بأن إليزابيتا تركت قريتها وسافرت مشياً على الأقدام مدة ثلاثة أسابيع ليلاً ونهاراً حاملة طفلها الصغير على منكبها لتصل إلى المركز وتطلب منا الطعام. وبالطبع وصلت إلينا بحال مزرية سيئة. أما طفلها فبدا كالأموات ومن شدة هزاله وجوعه كان جلده ملتصقاً بأضلاع صدره .

صديقتي ، اعتصر قلبي ألماً من هذا التقرير الذي قرأت بعضاً منه على مسامعك للتو. فقصة إليزابيتا لا تمثل حادثة واقعية فردية بل إنها تمثل قصة حياة الكثرات في بلاد مزقتها الحرب

الأهلية فتركت أشلاء لا تُعد ولا تُحصى. لم أكن أعلم أنا نفسي أن الحالة في جنوب السودان عويصة وسيئة للغاية. لكم تضايقت وانزعجت ولكم شعرت بالأسى والحزن يعتصران نفسي إذ يعيش أغلبنا في ببحوحة ونعمة لا ندرك أهميتها ومعناها إلا بعد أن نسمع بهذه الحوادث تجري في بلاد العالم الثالث.

إن صوت النساء والأطفال يصرخ من أرض السودان فهل نهب لنعمل شيئاً تجاه الحاجة الملحة؟ هل نهب لنحافظ على بريق الحياة في عيون النساء والأطفال؟ هل نحاول تثقيف بعضنا البعض وإعلام بعضنا بعضاً في بلد عربي عزيز علينا؟

الجوع قاتل يا صديقتي. والنساء في السودان يعانين من جراء الجوع والأطفال ينامون وهم جائعون. فهل تشعرين حقا مع النساء والأطفال في السودان؟ ختم المقرر السوداني تقريره بطلب استغاثة يخرق الأعماق إذ قال: إننا نجاهد ونكافح على جميع الأصعدة على الرغم مما يعترضنا من نزاعات وخلافات. إننا نجاهد من أجل الحياة والكرامة، لندعم الأحياء ونرفع من معنوياتهم، ونهتم بحاجاتهم ونطعم الجياع منهم خاصة النساء والأطفال وبشكل مميز الأطفال اليتامى. إننا نحاول شفاء المشاعر الجريحة خاصة الأطفال الذين هم في حالة صدمة. نحاول أن نساعدهم عن طريق تثقيفهم وكذلك عن طريق رفع أنظارهم إلى الله المحب الذي يعتني بخليقته.

ما رأيك سيدتي بهذه الطلبة والاستغاثة الواضحة ؟

قد تتساءلين وتقولين سيدتي: ولماذا يسمح الله بهذه الظروف تمر على الإنسان الذي خلقه؟ وما ذنب الأطفال والأولاد والنساء في الحروب والمجاعات ؟ إن هذه الظروف التي تمر على الإنسان ما هي إلا من صنع الإنسان نفسه. أجل ياسيدتي.

فهو يتحمل نتيجة عصيانه على الله تعالى ليس إلا. فالإنسان اختار منذ البداية أن لا يطيع أمر الله يوم كان بعد في الجنة. ولهذا فهو يحصد ما زرعه . لكن هل معنى هذا أن ليس هناك رجاء؟ كلا بالطبع ، فانه لا يزال يحب الإنسان الذي خلقه على صورته ومثاله. وهو يعتني به بالرغم من شره وعصيانه. ألم يقل صاحب المزامير: يشرق شمس على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين؟ فهو يُنعم على الجميع سواء. لكنّه ولكي ينجو من العقاب الأبدي حضّر له خلاصاً من الخطية إذ أرسل إليه الفادي يسوع المسيح أي عيسى بن مريم ليحمل بنفسه عقاب خطايا الإنسان على الصليب. فمات عوضاً عنا وبذل نفسه فداء لنا جميعاً. حتى كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا.

فهل نهب صديقتي لكي نمد يد العون والمساعدة المادية - إن كنا نستطيع - لهؤلاء النساء في السودان وكذا للأطفال المحتاجين؟ وهل نهب لكي نحیی فيهم الرجاء والأمل بأن هناك من يهتم بهم حتى في وسط الظروف الصعبة؟ وأيضاً هل نصلي من أجلهم حتى يبرز نور والرجاء في قلوبهم اليائسة والحائرة؟ ويتعرفوا على محبة الله لهم في شخص الفادي المسيح؟ حتى وإن كان النساء والأطفال ضحايا العنف والبغضاء والضغينة فإن هناك من يهتم بأرواحهم الخالدة؟